القضية اللبنانية

– ١٤ –

الاسلام السياسي
وهوية لبنان

(حول نداء الشيخ بيار الجميل)

آب ١٩٧٦

١) رسالة الجميّل الى المسلمين

أيها الاخوة المسلمون ،

هذا الصوت ، صوت انسان ما زال يعلن ، وسط موجة الكفر واليأس ويتمسك ايضا ، رغم حالة التفسخ التي عمت الشعب وكل المؤسسات ، بالصيغة الحضارية التي عرف بها لبنان وجها له وجوهرا .

وهو صوت من القلب والوجدان ، بل فعل ايمان وددت ان اعلنه هكذا دون تكليف من أحد ، ودون اي تكلف . وقد خيل الي أن اعلان هذا الايمان ، بمنتهى العفوية والصراحة ، هو أجدى من الوساطات ومشاريع التسوية التي فاق عددها عدد أيام هذه المحنة ، والتي ما افادت حتى الآن ، لفرط ما تكررت وتكرر فشلها ايضا ، الا في تعميم اليأس وتعميقه .

وفي أي حال ، أن لبنان بات يحتاج الى ما يشبه المعجزة لكي ينجو من شرور التقسيم والتجزئة ، ولكي يخلص ويبعث من جديد .

وهل غير الايمان ما يصنع المعجزات ؟ !

... الايمان بلبنان طبعا ، ومن قبل ابنائه بالدرجة الاولى . فأن اعوزتهم هذه الجذوة ، فهو مائت حتما . وان اشتعلت في صدورهم ، فهو حي لا يموت .

والمعجزة ، هنا ، لن تكون ، طبعا ، سماوية ، بل من عمل الانسان . وفي أي حال ، أن حدود الاوطان لم تكتب في الانجيل والقرآن . ولا القرآن أو الانجيل قالا بان لبنان هو للمسيحيين أو للمسلمين ، أو للفريقين معا .

ولا الله ، عز وجل ، وقف نفسه على هؤلاء القوم أو أولئك .

قياسا على هذه الحقائق الاساسية ، ليس من حق المسيحيين والمسلمين أن يختلفوا بسبب الله . بل من واجبهم أن يتحدوا فيه ، بوصفه اله البشر جميعا ، وبوصفه ، قبل ان يزج البشر بأسمه في صراعاتهم على الارض ، الخير المطلق ، والجمال المطلق ، والمحبة المطلقة .

كما ليس من حق المسيحيين والمسلمين أن يزجوا بالدين في اختلافهم حول لبنان . فلا الاسلام يقضي بتطويب هذا البلد على اسمه ولا المسيحية ايضا .

وغني عن القول أن احتكار لبنان من قبل هذا الفريق أو ذاك ليس من وصايا الله ، أو من وصايا المسيحية والاسلام . انما روح

الاحتكار من خطايا الارض . فيما السماء والاديان كلها براء من أي نزاع حول لبنان ومن أي أختلاف مهما كان . فكيف اذا كان لبنان نفسه قد وجد لكي تلتقي الاديان فيه وتتفاعل وتثري الانسان بالتقائها فيه وتفاعلها ؟ !

الدور اللبناني أعظم الادوار

ان دور اللبنانيين ، مسلمين ومسيحيين ، في هذه الحال ، هو أعظم الادوار. فلم تعط هذه الرسالة لغيرهم . وقلما أتيح لغيرهم ان يحمل مثل هذه الرسالة .

واذا صح بأن لكل شعب مهمة أو دورا في هذا العالم يؤدي ، من خلاله ، قسطه في خدمة البشر والانسانية جمعاء ، فليس أمام اللبنانيين ، افضل من هذه المهمة ، يخدمون بها انفسهم واديانهم ويخدمون الانسان أيضا والحرية وسائر القيم الانسانية .

فلا الاسلام بحاجة الى بلد اسلامي آخر. ولا المسيحية تحتاج هي أيضا الى اضافة مماثلة .

... ولا العرب تنقصهم المساحة أو ينقصهم العدد والثروات الطبيعية لكي يطوب هذا البلد على اسمهم .

انما ما ينقص الجميع ، ويفتقرون اليه ، هو هذا اللبنان الذي بفضل موقعه ، وطبيعته ، استطاع أن يحضن كل الذين ، على مر

التاريخ ، قد اضطهدوا بسبب المعتقد أو الدين ، وان يؤمن لهم أيضا ، الحرية ، والاحساس العميق بالكرامة ، فأستحق أن يكون وطن الحريات ، أي وطن الانسان .

فهل ما هو اعظم من هذا الدور يتعهده اللبنانيون ، ويمارسونه ، ويتعاونون عليه ، ويتناقلونه جيلا بعد جيل ، هكذا حتى نهاية العالم ؟

أن كل الادوار تضؤل أمام هذه الرسالة .

وفي أي حال ، اذا تخلف لبنان عن هذه المهمة التاريخية فلا يبقى من مبرر لوجوده.

... ينهار أو يتداعى ، أو ينقسم مثلما ينقسم الآن !

وهو لم ينقسم على هذه الصورة ، الا لانه تخلى عن دوره ، وبالتالي عن مبرر وجوده ... أو بالاصح ، أكره على هذا التخلي .

هذا منذ أن خيل لبعضنا ، بدافع العصبية الدينية ، بان الذوبان في العروبة يفضل على هذا الدور ويتقدم عليه .

ولان اللبنانيين ليسوا كلهم على هذا المعتقد ، لالف سبب وسبب ...

ولان المسيحيين ، ما زالوا يرتابون في العروبة ، ويتساءلون

أيضا ، عن معنى اكراههم على الايمان بها ، اذا صح بأنها لا تحتاج الى أي اكراه.

فقد بدأ لبنان يخسر نفسه ويتنصل من قيمه ووجوده الحضاري ويتعثر ايضا في علاقته بمحيطه العربي وفي علاقة ابنائه بعضهم ببعض.

وصدف أن كان الفلسطينيون ، ضيوفنا منذ أن نكبوا في وطنهم ، قد بدأوا يتخذون من لبنان ، مستقرا لهم ، ومنطلقا دائما لمحاولتهم الطويلة في العودة الى الوطن.

ولكنهم ، بدلا من أن يتعاملوا مع هذا البلد المضياف ، من خلال جوهره ، ومبرر وجوده ورسالته... وبالمراعاة التامة لظروفه الخاصة ، ومخاوفه ، وعقده ايضاً وأمراضه...

... بدلا من ذلك ، تعاملوا معه من خلال المعتقد الذي يقسم اللبنانيين ولم يوحدهم بعد ، فما وفقوا الا في تعميق الانقسام ، وتعميق مخاوف المسيحيين وحذرهم.

وقد خيل اليكم بأنهم ينصرونكم وينصرون قضيتهم ، فيما الحقيقة انهم كانوا يتورطون في لعبة اعدت خصيصا لتفجير التناقضات الدينية في بلادنا ، بعد أن تعذر تفجير التناقض الطبقي ، وتفجير نظام ، اذا احتاج الى تطوير وتقويم واصلاح ، فهو

لا يستوجب التفجير والانفجار.

واراني بغنى عن ذكر هوية القائمين بهذه اللعبة. انكم تعرفونهم ، بمجرد أن نشير الى افعالهم. وقد ابتليتم ، مثلما ابتلينا ، بهذه الافعال. فأنظروا الى ما حل بهذا الوطن ، الذي كان أحلى الاوطان ، واغناها ربما ، وأكثرها رخاء وهناء وصفاء سماء ، واصبح لوحة سوداء تضج بالحزن والاسى ، ولا تتحدث الا عن الاحقاد. وتساءلوا معي عما اذا كانت هذه الخاتمة تخدم غير الشيوعية التي ترفضونها مثلما نرفضها أن لم يكن أكثر.

ولا نرفضها معا ، الا لأنها لا تتفق مع طبيعة لبنان. وطبيعة لبنان ، ملتقى اديان وحضارات.

... ولانها ملحدة ، ونحن واياكم مؤمنون بالله وبالعالم الآخر.

... ولانها توتاليتارية ، فيما لبنان يقوم على التعددية ، وعلى الحرية.

أما نصائحها الاقتصادية والاجتماعية ،فانتم ونحن بغنى عنها. ناهيك بأن الغنى في بلادنا ، والثورة ، والازدهار ، هي من اختراع العقل اللبناني الرائد الخلاق ، وليست آبار نفط مدفونة في الارض أو مهدورة على سطحها... وليست مناجم ذهب وفضة ونحاس ، تبدو على بضعة مستغلين بلديين أو غرباء!

الحلف العجيب الغريب

في أي حال ، نحن لا نعترض على ايمان الشيوعيين ، بل على أفعالهم .

... ولا على الثورة الفلسطينية ، بل على فوضاها التي فاقت كل حدود الفوضى وتعدتها بأشواط .

ونعترض أكثر على هذا الحلف الغريب العجيب ، المعقود بين الفلسطينيين ، ضيوفنا ... والشيوعيين البلديين وغير البلديين ... حلفا يتخذ منكم ، انتم المسلمون ، سبيلا للاستيلاء على هذا الوطن ، أو لتغيير طبيعته ، أو لاكراهه على ممارسة دور ليس من أدواره ، وتحميله أعباء ليست من أعبائه ، والزامه بخدمة كل الاغراض الا أغراضه وجوهر وجوده .

فهل هذه الاعتراضات تستوجب مثل هذا العقاب الذي انزلوه بلبنان ؟

ولا تستوجب أبدا أن يكون المسيحيون في جانب ، وانتم في الجانب الآخر .

اخوة في الانتماء الى لبنان

أيها الاخوة المسلمون ،

أنتم والمسيحيون أخوة في الايمان بالله ،

... أخوة في الانتماء الى لبنان ،

أخوة في الحاجة الى هذا الانتماء قبل أي انتماء آخر.

أما الاختلاف حول عروبة هذا الوطن أو عدم عروبته فليس له ما يبرره ما دامت مهمة لبنان ، الا يكون بلدا عربيا ، فقط ، مثل سائر البلدان العربية... أو بلدا اسلاميا مثل سائر البلدان الاسلامية ، أو بلدا مسيحيا مثل سائر البلدان المسيحية.

فكيف اذا كانت العروبة أو هكذا يجب أن تكون ، رابطة تلقائية يعبر عنها بالايمان وليس بأي شيء آخر؟!

واذا صح بأن المسيحيين يشكون فتورا في شعورهم بالانتماء اليها ، أو يتنصلون ، أحيانا ، من هذا الانتماء ، ويتبرأون منه ، فليس أسوأ من الاكراه علاجا لهذا التنصل أو التبرؤ أو الفتور. وعندي أن المسلمين مطالبون ، بوصفهم مشبعين بالعروبة هذه حتى الاعماق ، بالتساؤل عما يحمل المسيحيين على الارتياب فيها والحذر. أن واقع الانقسام حولها على هذه الصورة دلالة واضحة على مقدار العصبية الدينية فيها. فكيف اذا اقترن ذلك بالاكراه؟!

فلو فعلتم ، وتساءلتم عما تسبب في هذا الارتياب ، لاكتشفتم

مقدار مسؤوليتكم التاريخية في هذا المجال.

فكونوا رسل العروبة الامناء.

ولكن، لا تكونوا الضاربين بسيفها.

حافظوا على ايمانكم بها،

ولكن لا تكرهوا احدا على هذا الايمان.

لانه ليس ما يبرر الاكراه الا أن تكون العروبة مكروهة مثلا من قبل واحد أو أكثر، من قبل فئة من الناس أو أكثر... والا أن تكون هي نفسها لا تستقر في القلوب الا بالاكراه.

في أي حال، ان ما يقلق اخوانكم المسيحيين ويستثير الحذر في صدورهم والارتياب، هو مصير الحرية في لبنان، اما العروبة فلا تزعجهم الا بقدر ما تشكل تهديدا لهذه الحرية أو انتقاصا منها أو اساءة.

فعدا عن أن الاكراه عليها هو في حد ذاته اعتداء على الحرية... حرية المعتقد والرأي والايمان، فقد طرحت نفسها عندنا، وطرحها دعاتها. بما لا يترك مجالا للشك أن الغرض منها هو ازالة كل ما يميز لبنان عن جواره. اليس لكي يكون هذا البلد عربيا مثل سائر البلدان العربية يريدون تعريبه روحا وجسدا؟

فأي مبرر بعد هذا لوجوده واستقلاله وسيادته.

وغني عن القول أن المسيحيين في لبنان بدون خصائص. وبدون استقلال صحيح، وبدون سيادة كاملة، لن يكونوا أحراراً.

ليس، طبعا، لانكم انتم تبخلون عليهم بهذه الحرية. أو لان الاسلام يبخل بها هو أيضا بل لانكم في هذه المنطقة، أكثرية. ولان كل أكثرية، بالتالي، هي طاغية حتى ولو كانت مسحية، فمن الطبيعي أن يشعر المسيحيون بالحذر، ويتشبثوا بما يميز لبنان عن محيطه دون انفصال أو انسلاخ طبعا، ويتشبثوا ايضا بالاستقلال الناجز والسيادة التامة.

وقد صدف أن للفلسطينيين بيننا، وجودا كثيفا ومسلحا، ومتجاوزا كل الحدود، وكل القواعد والاصول، الى حد الاطاحة بالسيادة والاستقلال. فهل كان ينتظر من المسيحيين أن يباركوا هذا الطغيان، وان يقفوا متفرجين من استغلال الشيوعية الدولية له استغلالا فاق هو أيضا كل حد.

وكانوا يتوقعون منكم أن تتضامنوا معهم بدلا من التضامن مع الطغيان. ولما لم تفعلوا كانت هذه المحنة التي لم تنته فصولها.

ولكن يجب أن تنتهي.

ولن تنتهي الا بأحياء التضامن بين اللبنانيين.

ولن يتحقق ذلك الا بالعودة الى الاصول... الى دوركم التاريخي. انتم المسلمون، في لبنان، الذي لا يقتصر على الشعور بأنكم عرب مسلمون مثل سائر العرب المسلمين، والتعبير عن هذا الشعور بما يثير الحذر بدلا من الثقة. والارتياب بدلا من الاطمئنان.

العروبة ليست عصبية دينية أو مذهبية

دوركم أن تبرهنوا، من خلال لبنان، على أن العروبة ليست عصبية دينية أو مذهبية.

دوركم أن تحيوا الايمان بالصيغة الرائدة في صدور المسيحيين.

ولا اعتقد أن الدور هذا صعب أو مستحيل. بل انه في منتهى البساطة. فيكفي أن تتعرفوا بالشكل الذي يؤكد بأن لبنان لن يصبح دولة اسلامية، حتى تنتهي القضية من الاساس، ويستمر المسيحيون أوفى الناس للعرب والقضايا العربية.

فليس للمسيحيين أية مصلحة في أن يكونوا في لبنان اسرائيل ثانية.

فلا دينهم يوصي بذلك. ولا حضارتهم تجيز هذه العفوية. ناهيك بأن الانسلاخ عن محيطهم يحرمهم هذا المجال الرحب

والحيوي بآن. فهل هم اغبياء لكي يطلبوا هذا العداء المجاني للعرب وللشعوب العربية؟

ولكن عندما تصبح المسألة مسألة ذل واذلال... ومسألة حرية وكرامة، تغيب كل الاعتبارات، وتبقى اعتبارات الكرامة والحرية.

وقد كان خطأ العرب المسلمين حتى الآن انهم، مثل كل اكثرية، لم يحسنوا التعامل مع الاقليات، وبنوع خاص، الاقلية المسيحية،

لقد تصوروا بأن «الحماية» أو «التسامح» كفيلان بحسم هذه المشكلة، فيما الحقيقة ان الاقلية تشعر دائما بالحاجة الى ما هو أكثر من التسامح.

فلا يكفي اذا أن تقولوا لاخوانكم المسيحيين: لا تخافوا، فالعروبة تحميكم. بل ينبغي أن يكون هؤلاء اسياداً مثلكم، أحرارا بكل ما تعني لفظة الحرية في كل ابعادها.

وقد كانت هذه الصيغة.

وقد كان لبنان نفسه، لكي تتأمن هذه الحرية، وهذه السيادة، فكنتم، من هذا القبيل، الساعد الضرورية، وساهمتم فيها كأحلى ما تكون المساهمة. هذا الحتى جاء من يتصرف بها وكأنها

أداة فيما هي لا تتحمل أن تكون أقل من غاية وقيمة لا تمس.

من منكم يرضى بالفوضى؟

أيها الاخوة المسلمون،

ان وجود الفلسطينيين بيننا ليس هو المسألة.

وقضية فلسطين ليست هي المسألة ايضا.

ولا غنى عن ثورة الفلسطينيين... لا غنى عن الفداء والفدائيين.

ولكن، من منكم يرضى بالفوضى؟

وقد صدف أن الثورة الفلسطينية قد مورست في بلادنا بما يجعلها اقرب الى الفوضى منها الى الثورة الحقيقية. وعلى هذا كان الاعتراض وكان الرفض وكانت الممانعة.

وقد خيل اليكم بأن التساهل مع الفلسطينيين يفضل على التصلب.

ونحن، من هذا القبيل، لم نرفض التساهل ايضا، وقد قضينا فيه حتى حده الفعلي. ولكن فيما المسيحيون كانوا يطالبون بالتوقف عند هذا الحد، كنتم انتم تصرون على المضي فيه. وقد تأكد لنا ولكم الآن، كم كان الاختلاف عند هذه النقطة بلا مبرر... وكم

كان التساهل مسيئا لكم وللمسيحيين وللقضية الفلسطينية أيضا.

فلا غنى، والحالة هذه، من الرجوع الى حدود السيادة الحقيقية. ولا غنى أيضا من ابراز هذه الحدود واحترامها. فهل هذا ممكن اذا لم يكن تضامنكم معها أقوى من التساهل مع الفوضى؟

وهل هذا ممكن اذا لم تعلنوا انتم، بأي شكل من الاشكال، هذا التضامن، وتؤكدوه.

على هذه النية اخاطبكم اليوم، متوجها الى ضمائركم، مناشدا اياكم أن تنقذوا هذا الوطن المهدد بالتشتت والتقسيم.

وأملي أن تكونوا، مثلما كنتم في الاربعينات، يوم عزمتم أن تبنوا، مع اخوانكم المسيحيين وطنا ليس كسائر الاوطان، وبلدا ليس كسائر البلدان.

انني لا اتصور طموحكم اليوم، طموحا الى أقل من وطن نموذجي، يفتقر اليه الاسلام، والمسيحية، والعروبة، والانسانية جمعاء.

والامر موقوف على ارادتكم.

بل أن انقاذ هذا الوطن مما هو فيه، لم يكن ساعة رهن هذه الارادة، مثل هذه الساعة.

فأعلنوها مثلما تعلنون كل يوم ايمانكم بالله.

ولكم من المسيحيين كل الوفاء، والمحبة، والولاء.

... ومني هذا الدعاء: يحيا لبنان.

بيروت في ٢٤ تموز ١٩٧٦
بيار الجميل

٢) رد محسن سليم على نداء الجميّل

أيها الشيخ اللبناني الجليل،

نداؤكم الاخير الموجه الى المسلمين والذي اذيع بواسطة «صوت لبنان» بتاريخ ٢٤ تموز سنة ٧٦ لاعادة احياء الصيغة اللبنانية الفريدة في نوعها على أسس جديدة وعودة التضامن الاخوي بين المسلمين والمسيحيين في هذا الوطن والعمل على نزع عقدة الخوف التي تراود المسيحيين من موضوع العروبة والداعين اليها بحرارة وحماسة في الآونة الاخيرة. ان هذا النداء الذي يبدو انه صادر من أعماق قلبكم وصفاء وجدانكم اللبناني، قد لاقى صدى ايجابيا ومستحبا لدى جميع المسلمين المخلصين الحريصين كل الحرص على وحدة لبنان أرضا وشعبا وعلى عدم التنكر لعروبته الحضارية الحقيقية وعلى ان يظل لبنان بلد الحرية والانسان كما

طالبتم به في ندائكم .

ما أريد أن اقوله لكم في هذه المناسبة ردا وتعليقا على بيانكم الآنف هو الرد الطبيعي لكل لبناني مسلم يعيش على أرض لبنان محبا لوطنه حريصا على بقائه واستمراره عزيزا حرا مستقلا سيدا ، ان نداءكم ايها الشيخ الجليل قد نفذ الى اعماقنا نحن المسلمين اللبنانيين واستحوذ على مجامع تفكيرنا وتأملاتنا ونال منا قبولا حسنا لا لانه صادر عنكم فحسب بل لانه يعبر في جوهره عن تفكيرنا وقلقنا وتخوفنا على مستقبل هذا الوطن ومصيره المجهول اذا لم نتلاق نحن اللبنانيين مسلمين ومسيحيين على قاسم مشترك يجمعنا لانقاذ وطننا من التهلكة والزوال .

من أين نبدأ؟

ولكن كيف السبيل الى وضع هذا النداء موضع التنفيذ؟ هذا هو السؤال الذي طرحناه على انفسنا عند سماعنا النداء . اذ لم تقل لنا في ندائكم الاخير ماذا يجب علينا نحن المسلمين في لبنان ان نفعل ومن أين يجب أن نبدأ باحياء الصيغة اللبنانية التي اجتمع حولها في الماضي جميع اللبنانيين .

لم تقل لنا ايضا ما هي الخطوات العملية التي يجب ان يتخذها المسلمون اللبنانيون ليغدو لبنان الى وحدته واصالته ويكون ذلك

مقبولا من اخوانهم المسيحيين.

ان المسلمين اللبنانيين الذين خاطبتموهم في ندائكم الاخير وبعد النكبة التي اصابتهم مؤخرا واصابت معهم جميع اخوانهم اللبنانيين يتمنون عليكم لو حددتم لهم في بيان توضيحي لاحق كيف ترون انتم من مركز المسؤولية التي تتكلمون منها احياء الصيغة اللبنانية وما هي الأسس التي يجب ان تتركز عليها وباية وسيلة وما هي السبل التي يجب ان تعتمد لتحديد هوية لبنان العربية تحديدا علميا واضحا يكون مقبولا من جميع اللبنانيين على السواء مسلمين ومسيحيين. في اعتقادي أن الموضوع المتعلق بهوية لبنان وبتحديد عروبته تحديدا علميا مسؤولا هو أهم المواضيع التي يهتم لها اللبنانيون في الوقت الحاضر ولعل هذا الموضوع هو المدخل الاساسي لكل المسائل والقضايا الاخرى المتعددة التي هي موضع اهتمام اللبنانيين.

فاذا ما تحددت عروبة لبنان تحديدا واضحا وصريحا لا لبس فيه ولا ابهام تحديدا مقبولا من جميع الفئات اللبنانية وخصوصا من الفئات الاسلامية أمكننا عندئذ حل جميع القضايا الاخرى المطروحة لانها تصبح ثانوية بالنسبة الى هذه المشكلة الجوهرية.

في ما يتعلق بعروبة لبنان فقد اكتفى اللبنانيون بالموافقة والالتزام بالعبارة التي اطلقها المغفور له رياض الصلح رئيس وزارة اول

حكومة استقلالية في لبنان في أول بيان وزاري لحكومته وهذه العبارة تقول «بأن لبنان ذو وجه عربي» وقد اعتبرت هذه العبارة المقتضبة اساسا وقاعدة لتعامل اللبنانيين مع العروبة.

حرص لبنان على العروبة

ومنذ تأسيس جامعة الدول العربية سنة **١٩٤٥** ودخول البلاد بمثابة عضو مؤسس في تلك الجامعة وعلى مر الثلاثين سنة التي شارك فيها لبنان في أعمال وقرارات الجامعة العربية لم نسمع ولم نقرأ أن لبنان وقف يوما موقفا معارضا لاي من قرارات الجامعة مما يؤكد حرص لبنان على عروبته وعلى مشاركته العرب مشاركة فعلية في جميع مواقفهم القومية. اما قضية فلسطين هذه القضية التي هي قضية العرب الكبرى، فلبنان كان ولا يزال حاملا لواءها في جميع المجالات حتى ان لبنان كان صوت العرب كل العرب في الدفاع عنها من على منبر الامم المتحدة. وقد كان لموقف لبنان ولصوته الداوي في العالم ما اضفى على قضية فلسطين في العالم ان ينكره أو يقلل من اهميته فاذا كانت العروبة مناقبية وممارسة، وفعل ايمان في المصلحة القومية — فلبنان لم يخرج يوما منذ استقلاله عن خط العروبة السليمة ولم يتنكر لها. وأنى له ان يتنكر ولبنان لغته عربية وتراثه عربي، وهو منفتح على العالم العربي انفتاحا كاملا، وواقع

في محيط عربي ومصيره مصير عربي ، واقتصاده عربي ، وتطلعاته عربية ، وكل شيء فيه يحمل على القول انه والعالم العربي جزء لا يتجزأ منه.

لبنان له طابع مميز

الا ان لبنان بالاضافة الى ذلك وخلافا لاي بلد عربي ، له طابع مميز يجعل منه بلدا عربيا ذا طابع خاص ، وخصائص ذاتية ، لا يجدر بلبنان ولا يحق له ان يتنحى عنها لانها مرتبطة بشخصيته الفريدة وبتاريخه العظيم وبحضارته المجيدة ، هذه الحضارة التي يفخر بها لبنان ، كما يجب ان يفخر بها العرب كل العرب.

أليس غريبا ان لا يعترض احد على مصر العربية عندما تفاخر بتاريخها القديم وحضارتها الفرعونية ، ويعترض على لبنان ويتهم بالتنكر للعروبة لانه يريد ان يفاخر بتاريخه وتراثه القديم. هذا التاريخ الذي هو جزء من تاريخ الحضارة الانسانية العالمية.

تحديد هوية لبنان العربية

فيا ايها الشيخ اللبناني الجليل ،

نحن معك في ندائك بل نحن على اتم الاستعداد لاحياء الصيغة اللبنانية الفريدة التي تجمع اللبنانيين في لبنان واحد موحد

على أسس جديدة تسودها العدالة والمساواة وترعاها المحبة والثقة المتبادلة.

ولكن قبل البحث في أي موضوع آخر يجب علينا ان نبدأ من البداية والبداية هنا هي الاتفاق على تحديد هوية لبنان وعروبته تحديدا وطنيا وعلميا وقوميا، لا لبس فيه ولا ابهام، تحديدا يمنع على ان لبنان فيما بعد المناقشة تحت اي سبب او ستار بهذه الهوية التي يكون قد ارتضاها ووافق عليها جميع اللبنانيين على اختلاف اديانهم وطوائفهم وفئاتهم.

فالمطلوب اذا، قبل كل شيء تحديد واضح وصريح لهوية لبنان وعروبته. لا يتحقق ذلك الا بتأليف لجنة من كبار المثقفين والمفكرين والسياسيين اللبنانيين من جميع الطوائف والفئات لاجل الاتفاق على وضع شرعة أو وثيقة تعتمد تحديدا علميا وسياسيا لهوية لبنان وعروبته طالما ان عروبة لبنان هي علة العلل واساس الخلاف بين اللبنانيين

ان المسلمين ايها الشيخ الجليل، يقابلون نداءك اليهم بالترحيب كما انهم خلافا للاعتقاد السائد عند فئة من اخوانهم المسيحيين يفرقون جيدا بين العروبة والاسلام. فالعروبة التي يؤمن بها المسلم الحقيقي هي العروبة الحضارية التي تستمد من الاديان السماوية ومن

كافة الحضارات والقيم البشرية والانسانية لحياتها وتحركها واستمرارها .

والعروبة التي يؤمن بها المسلم الحقيقي في لبنان بعيدة عما سمعناه منك في مناسبات مختلفة عندما كنت تتحدث عن هذه العروبة وتحاول شرحها وتحليلها .

فالى ان ينبلج هذا الصبح الجميل على اللبنانيين الى الحياة الكريمة المشتركة التي كانوا ينعمون بها اقبلوا مني أطيب التحيات والاخلاص والمحبة .

٣) رد على رسالة الاستاذ محسن سليم الى الشيخ بيار الجميل .

نستميحك والشيخ بيار الجميل عذرا ان نحن تصدينا للجواب على سؤال نوجهه اليه . فالأمر الذي يثيره السؤال يعني كل اللبنانيين ومن حق ، بل من واجب ، كل منهم ان يبدي حوله وجهة نظره . فالرجاء ان يتسع صدرك لما سنبديه بكل صدق ومحبة :

١ – اننا اذ ننوه بما تعبر عنه رسالتك الى الشيخ بيار الجميل من رغبة في تلمس «الخطوات العملية التي يجب ان يتخذها المسلمون اللبنانيون ليعود لبنان الى وحدته واصالته ويكون ذلك مقبولا من اخوانهم المسيحيين» نتمنى لو تكون هذه الرغبة رغبة

سواد المسلمين، قادة وقاعدة، مع الظن بأنها لو كانت كذلك لما عدموا وسيلة لتحقيقها.

٢ - تقول في رسالتك: «المطلوب قبل كل شيء تحديد واضح وصريح لهوية لبنان وعروبته... فعروبة لبنان هي عقدة العقد وأساس الخلاف بين اللبنانيين» على قولك هذا لنا ملاحظتان:

الملاحظة الاولى: ان طرح المشكلة على هذا الوجه يفترض ان لبنان ضائع الهوية، لقيط، وانه بحاجة الى هوية غير هويته. هذا الافتراض، يا سيدي، بحاجة الى تصويب. ان نصف اللبنانيين على الأقل - ولعلك منهم - يؤمنون بلبنان كيانا سياسيا مستقلا قائما بذاته لا يحتاج الى وصف ولا الى تعريف لأنه بنظرهم وطن نهائي تنتهي عند حدوده مطامحهم وأحلامهم، وينشد اليه وحده ولاؤهم، ولا ينظرون الى شأن أو قضية أو مشكلة في العالم البعيد أو القريب الا من خلال مصالحه، وكل مرة تتعارض فيها مصلحة لبنان مع اية مصلحة اخرى لتغليبهم دون تردد، لمصلحة لبنان وحدها. اليس هذا شأن كل الاوطان؟ ثم انهم يرون في لبنانهم من الغنى الحضاري المتراكم منذ ستة آلاف سنة ما يحررهم من كل العقد، ويملؤهم زهوا، ويشكل بالنسبة الى غدهم أكبر حافز على المضي في حمل رسالتهم الحضارية باعتزاز. انهم يؤمنون بلبنان

ايمانهم بالله الذي لا يعرف عنه الا بانه «هو الذي هو».

هؤلاء يرون ان هوية لبنان لا يمكن ان تكون موضوع نقاش او جدل او خلاف. وان السؤال عن هوية لبنان سؤال لا يطرح كما لا يطرح السؤال عن هوية فرنسا او المانيا او الاتحاد السوفياتي او غيرها... ما لم يكن المقصود سؤالا آخر هو: هل ان لبنان، لبنان ام سواه. وبتعبير اوضح: هل ان لبنان كل أم جزء، هل هو مرحلة ام محطة؟

والواقع ان في لبنان فئة ثانية من المواطنين تعتبر لبنان جزءا من كل اوسع، وانه مرحلة موقتة لا بدّ من تجاوزها عند اول سانحة، وان اي تعارض بين مصلحة لبنان الجزء ومصلحة «الكل الأوسع»، او حتى مصلحة جزء آخر من هذا الكل، يجب ان ينتهي بتضحية المصلحة اللبنانية.

وعليه أن تكون المشكلة الحقيقية: مشكلة ولاء للبنان، هل هو ولاء مطلق يستحقه لبنان لذاته ام هو ولاء مشروط وموقت ومن درجة ادنى من الولاء للقومية السورية او القومية العربية او غيرها من القوميات.

والملاحظة الثانية: انك تطلب، من جهة، تكليف لجنة من كبار المثقفين والمفكرين والسياسيين: «من اجل الاتفاق على وضع

شرعة او وثيقة تعتمد تحديدا علميا وسياسيا لهوية لبنان» ، ثم تقرن ، من جهة أخرى ، هذه الهوية بالعروبة بتساؤلك عن « السبيل التي يجب ان تعتمد لتحديد **هوية لبنان العربية** تحديدا علميا واضحا ...»

وكأني بك تصدر مسبقا الحكم الذي تطلب ان تصدره اللجنة التي تقترح. فلا تتصور للبنان هوية الا الهوية العربية.

فهلا سمحت لنا بان نسألك : لماذا تتجاهل كل هذه الكثرة من اللبنانيين الذين يرفضون ان ينعت لبنانهم بسواه ، لا تعاليا ولا عداء لأحد بل خشية ان يجر النعت المنعوت الى المجهول ،. وان يفرغه من محتواه ليملأه بمحتوى آخر غير معروف الكنه. وهو محتوى اقل ما يقال فيه انه متفجرٍ ومفجرٍ على النحو المفجع الذي نشهده منذ ستة عشر شهرا ...

ولماذا تفرض سلفا ان اللجنة ، حين ستنكب على درس تاريخ لبنان وتراثه الحضاري وتكوين مجتمعه ومقومات وجوده واستمراره لن يستوقفها طويلا ما اشرت الى بعضه في رسالتك من ان لبنان ، «خلافا لاي بلد عربي ، له طابع مميز يجعل منه بلدا ذا طابع خاص وخصائص ذاتية لا يجدر بلبنان ولا يحق له ان يتنحى عنها لأنها مرتبطة بشخصيته الفريدة وبتاريخه العظيم وبحضارته المجيدة» ...

«الطابع الخاص» و «الخصائص الذاتية المرتبطة بشخصية لبنان الفريدة وبتاريخه وحضارته» تعود، كما تعلم يا سيدي، **الى تعددية هذا البلد الاتنية،** الذي لم تلتقِ مجموعاته الحضارية المتنوعة صدفة، بل جمعها، خلال تاريخ طويل، عامل واحد وموحد هو توقها الى الحرية وتمردها على ظلم حكم الأكثرية الجائرة وتمسكها بتميز شخصيتها. هذه التعددية الاتنية - الحضارية - صمدت وحداتها خلال اجيال امام كل محاولات الدمج والصهر، رافضة ان تذوب في شخصية احداها أو في شخصية وهمية واحدة.

وهذه التعددية الملازمة لتكوين لبنان هي ذات قيمة حضارية وتقدمية تفوق العروبة وتفوق كل القيم ذات البعد الواحد ومن الحيف والغبن عدم الاستفادة من غناها بايجاد الأطر السياسية والثقافية التي تحفظها وتصونها وتبرز ما في تعايشها وتفاعلها من ثروة حضارية ضخمة.

ان الانطلاق من فرض الهوية العربية، وهي الهوية الحضارية لفئة واحدة، على لبنان ككل، هو تنكر لهذه التعددية ومحاولة سيطرة البعض منها على الكل واستيعابه؛ انه ضرب من ضروب القهر والتسلط الذي تأباه وتحاربه حتى الموت كل المجموعات التي ترى فيه تهديدا لحريتها وبالتالي لوجودها.

ثم لا ندري لماذا كل هذا الاصرار على فرض العروبة على

لبنان. ما الفائدة منه، ومفهوم العروبة، كما تعرف، غير واضح ومن العسير جعله المفهوم الواحد لدى الجميع - ولو اجمعت لجنة رجال الفكر والثقافة والسياسة على تحديد معالمه؟

فاذا كانت العروبة لغة مشتركة، فليس من خلاف على ان لبنان اعطى لغة العرب، طوعا واختيارا **دون نعت**، ما لم يعطه اي بلد آخر ينطق بها او يتطفل عليها.

واذا كانت العروبة انتماء جغرافيا تنشأ عنه مصالح اقليمية مشتركة، كأوروبية فرنسا وايطاليا والمانيا او كأميركية البرازيل وفنزويلا... فالجغرافيا وما ترتب من علاقات طبيعية بين الدول والشعوب هي من الأمور الواقعية التي لا تصلح موضوع خلاف بين اثنين. وهل سمعت مرة ان الفرنسيين او البرازيليين تقاتلوا وتذابحوا من اجل تحديد هوية فرنسا الاوروبية او هوية البرازيل الاميركية؟

واذا كانت العروبة التزاماً حراً بقضايا مشتركة، ففي رسالتك ما يغني عن اي شرح لما التزم به لبنان وخدمه من قضايا العرب خدمة مخلصة صادقة فاقت احيانا طاقاته وارتهنت لها سياسته الخارجية وعلاقاته الدولية منذ قيام جامعة الدول العربية حتى اليوم. ورغم كل هذا الالتزام بقي عروبيو لبنان غير مكتفين...

أفتكون العروبة اذا غير كل هذا، غير اللغة وغير الجغرافيا،

وغير الالتزام الحر بالقضايا المشتركة؟ هل بقي من المفاهيم التي يمكن ان تلصق بها الا مفهوما العرق والدين ، واولهما غير معقول والثاني ، بالنسبة الى غير المسلمين ، غير مقبول؟ وهل تفرض وحدة العرق او الدين فرضا؟

٣ – وتقول : «في اعتقادي ان الموضوع المتعلق بهوية لبنان وبتحديد عروبته... هو أهم المواضيع التي يهتم لها اللبنانيون في الوقت الحاضر...»

لا يا سيدي ! ليست هوية لبنان – ولا جنس الملائكة – ما يأتي اليوم في طليعة هموم اللبنانيين ! ان لبنان يحترق ، ويتمزق ، ويستباح ، ويغتصب . فالاهم من كل أمر او شأن ان يبقى لبنان ، وان يبقى وطنا لشعب حر.

وتتساءل عن دور المسلمين اللبنانيين؟ أفلا ترى ، ولبنان يفترس ، ان دور بل واجب كل لبناني مسلما كان ام مسيحيا ام بوذيا ان يهب لانتزاع وطنه من اشداق مفترسيه؟

دور المسلمين ، بكل بساطة ، ان يبرهنوا ، ولو مرة واحدة ، ان ولاءهم للبنان فوق ولائهم لاية قضية او قومية او عصبية خارجة عنه . وثق يا سيدي بان كل العقد ، عندئذ ، ستحل ، وبان لبنان ، بذلك ، وبذلك فقط ، «يعود الى وحدته واصالته».

ن . ط .

٤) كتاب مفتوح من أمين ناجي الى محسن سليم

حضرة الاستاذ الكريم ،

جوابك على نداء الشيخ بيار الجميل كان له وقع حلو في نفسي ، خصوصا وانا اعرف انحيازك العنيد الى كل ما هو حق وعدل وذو علاقة باحترام الانسان : قيمة وحرية وكرامة .

واذ اخاطبك الآن ، فانما باسمي الشخصي وكمواطن اجتازته الاحداث حتى الصميم ، فعمل ، بما تيسر له من قدرة ، على استيعاب دروسها وعبرها وعلى استشفاف الحلول التي تستأصل الداء الذي يعيث اليوم في لبناننا الحبيب دمارا وموتا .

وما كنت لاكتب اليك لو لم اشعر ، وأنا اسمعك واقرؤك ، انني كسائر اللبنانيين ، معني بما تقوله وتطلبه . علما بأن الاسئلة المطروحة قد اجبت عليها سلفا – او هكذا خيل لي – باقوال كانت لنا ، معشر الجبهة اللبنانية وبالنسبة لغير واحدة منها ، افعال ايمان بديهية .

وأهم ما لفتني في كلامك وجوب البدء «من البداية» . والبداية هنا هي الاتفاق على تحديد هوية لبنان وعروبته تحديدا علمياً وقوميا ، لا لبس فيه ولا ابهام ... » . كذلك قولك «ان المسلمين ... خلافا للاعتقاد السائد عند فئة من اخوانهم المسيحيين يفرقون جيدا بين العروبة والاسلام . فالعروبة التي يؤمن بها المسلم

الحقيقي هي العروبة الحضارية التي تستمد من الاديان السماوية من كافة الحضارات والقيم البشرية والانسانية لحياتها وتحركها واستمرارها».

ولا اظنك مخطئا ان انت انطلقت من قضيتي عروبة لبنان وعلاقة العروبة بالاسلام. فهاتان النقطتان متكاملتان وتوحيان بغير سؤال وسؤال.

لماذا تبقى هوية لبنان مطروحة على بساط البحث والخلاف بعد ثلاثة عقود من الاستقلال، وما يقرب من ستة عقود من انشاء لبنان الكبير؟

ولماذا كان هذا الخلاف قادرا على جرنا الى حرب والى تهديد الشرق الاوسط بالانفجار؟

وهل البحوث التي قامت حول هوية لبنان منذ سنة ١٩٢٠ كانت كلها «غير علمية»، فعجزت عن اقامة اجماع لبناني حول مفهوم واحد لها؟

اعتقد ان مثل هذه الاسئلة تخطر على البال عندما يقرأ احدنا ردك على رئيس الكتائب اللبنانية أو يسمع الرئيس حافظ الاسد في خطابه في ٢٠ تموز الماضي يفتخر بانه ادخل في «الوثيقة الدستورية» نصا يؤكد «على انتماء لبنان العربي» و «على عروبة

لبنان». أو يرى في «لجنة الحوار» اصرار «المحاورين» من الفريق الآخر على تكريس عروبة لبنان في نص واضح في صلب الدستور وحذف عبارة «الامة اللبنانية» الواردة في المادة ٥٠ منه، او يلاحظ ان كمال جنبلاط والفصائل الفلسطينية المختلفة والماركسيين المحليين والمتمركسين وابراهيم قليلات وسواهم يعتبرون ان قبول اللبنانيين المسيحيين بالعروبة وتحقيقهم لمقتضياتها شرط اساسي من شروط وقف الاقتتال.

لذلك آمل ان يساهم كتابي اليك في فتح الضمائر على بعضها بعضا، حتى لو ان كلامي سيصدم «الميثاقيين» والذين لا يزالون يعيشون في ذهنية ما قبل ١٣ نيسان ١٩٧٥ ومفاهيمها. كما آمل ان تزول احدى العوائق الاساسية التي ما برحت تغرقنا في اللبس والابهام معا.

أولا. الاسلام والعروبة

ان علاقة الاسلام بالعروبة ليست عرضية ولا سطحية ولا ظرفية. علاقتهما عضوية مستمرة. انها علاقة العلة بالمعلول. فالعروبة لا تقوم ولا تبقى ولا يمكنها ان تحيا لحظة واحدة اذا لم يكن الاسلام نسغها الذي يغذي كل خلية من خلاياها.

١ - الاسلام دين ودولة، اسلوك واخلاق. حياة يومية

ومعاملات .

ولقد أقر اهل الثقة من علماء الاسلام ، قديما وحديثا . وانطلاقا من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة الصريحة بهذا الشأن ، أن الفصل بين الدنيوي والديني غير ممكن في الاسلام . لذا نفهم تماما موقف المسلمين المؤمنين الممارسين المعارض للعلمانية . وليس لي ان اذكرك بكل ما قيل وكتب بهذا الموضوع في داخل لبنان وخارجه . وحسبي ان اذكرك بتأكيدات صدرت في خلال هذه الازمة عن صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية وسماحة الامام الصدر وفضيلة الدكتور الشيخ صبحي الصالح وفضيلة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، والاستاذ القوتلي وسواهم . وقد يكون من المفيد ، بالاضافة الى كل ذلك ، ان أنقل اليك ما جاء في مقررات مؤتمر المنظمات الاسلامية المنعقد في مكة المكرمة من ٦ الى ١١ نيسان ١٩٧٤ . تقول هذه المقررات :

«لذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

«١ – بما ان الاسلام دين ودولة وعمل وعبادة فانه يرفض فكرة العلمانية التي تحاول ابعاده عن التأثير في الحياة العامة للامة الاسلامية .

«٢ – مطالبة الدول الاسلامية باعتبار الشريعة الاسلامية

المصدر الوحيد لدساتيرها وقوانينها.

«٣ – الزام المؤسسات التعليمية العلمانية في العالم الاسلامي بادخال العقيدة الاسلامية في برامجها» (١).

وهذه الوحدوية العضوية بين الديني والدنيوي يجعل الحياة المجتمعية من نواحيها كافة – بما فيها الايمان القومي، في حال وجوده – اسلامية المنطلق والجوهر والهدف. لهذا السبب تنص دساتير البلدان العربية (باستثناء لبنان) اما على ان دين الدولة الاسلام واما على ان الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع.

وقد يكون من الضروري – استكمالا سريعا لعناصر هذه الفقرة من كتابي اليك – ان اذكرك بما يلي:

أ – «ولاء المسلم لا يمكن ان يكون الا للامة الاسلامية. فلا قيمة للوطن الا بارتباطه بالدين. ولا ولاء لوطن الا بقدر ولائه للاسلام» (٢). «ان هذه امتكم واحدة وانا ربكم فاعبدوني».

ب – ولكن الاسلام لا يفرض حتما والزاما على جميع المسلمين في العالم ان يكونوا دولة سياسية واحدة (بالمعنى الحديث للعبارة)، وان كان يفرض عليهم التعاون والتضامن العميقين. «وانما المؤمنون اخوة».

ج – هكذا، فان الاخوة الاسلامية، وان كانت لا تلغي حتما

المواطنية، فالايمان القومي الوطني، انما تأتي قبلهما وتطبعهما بالطابع الاسلامي الصريح.

٢ – على الرغم من ان «لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى»، ومن ان «الناس سواسية كاسنان المشط»، فان الاسلام أعطى لصفة «عربي» قيمة خاصة. أكان ذلك مداورة ام مباشرة. فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية: «انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» (يوسف ٢). والنبي المرسل عربي: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم». كما أرسلنا فيكم رسولا منكم».

وقد بلغ من افتخار المسلمين بكل ما هو عربي حدا جعل الكثيرين من الاعاجم يسعون بطريقة او باخرى الى اي شكل من اشكال الانتماء العربي. وفي ايامنا جاهد الموريتانيون والصوماليون ليثبتوا عروبتهم وليدخلوا جامعة الدول العربية. وقد يلحق بهم الارتريون.

٣ – قد تعترض علي لتقول بان عروبة الموريتانيين والصوماليين والارتريين ثابتة باللغة العربية التي بها ينطقون، كما هي ثابتة عروبة سورية والعراق والمغرب... اوكما تثبت قديما عروبة الفارابي وابن المقفع وابن سينا وبشار وسواهم.

واستميحك عذرا اذا ما اضطربت في هذا المجال الى الدخول

في بعض التفاصيل لابرهن لك امرين. الاول، ان الانتماء العربي بواسطة اللغة انما هو بتأثير ديني مباشر. والثاني، ان اللغة العربية ليست «اللغة القومية» أو «اللغة الام» «للعرب».

أ – من المعروف أن تأثير اللغة العربية على خلق شعور الاستعراب عند المسلم قوي الى درجة ان غلاة الاتحاديين الاتراك في اسطانبول – قبل الحرب العالمية الاولى – كانوا يقرون بان طبيعة الاسلام التعريب، «لان كل مسلم عربي ولو بمقدار الكلمات التي يقولها في الصلاة» (٥). ولا أدري اذا كنت تعلم ان الحجة القاطعة التي استند اليها المترددون الى المنتدى الادبي في الاستانة – ثم سواهم مثل الدكتور محمود عزمي – في اطلاق تسمية «البلاد العربية» هي «الحديث الشريف الذي معناه: ان من يتكلم العربية عربي» (٥).

ب – هل صحيح ان اللغة العربية هي اللغة القومية لجميع «العرب»؟

ان ساطع الحصري – وهو من هو في عالم الدعوة الى العروبة والوحدة العربية – يحدد اللغة القومية بانها «لغة الام والبيت» (٦). وجميعنا يعلم ان لغة الام، اللغة، التي تخاطب بها الام ولدها، ولغة البيت، ولغة الشارع، واللغة التي يتخاطب بها الناس عفويا، ليست اللغة العربية. يقول الاختصاصيون ان هناك عشرين

لغة قائمة بذاتها – تركيبا واعرابا – يتكلمها سكان ما بين المحيط والخليج. (العربيون يسمونها «لهجات» ويريدون اعتبار المشاركة في بعض المفردات وكأنها دليل على وحدة اللغة).

ومن جهة أخرى، كيف تكون اللغة العربية هي اللغة الجامعة ويجهل قراءتها والكتابة بها اكثر من ثلاثة ارباع «العرب»؟ ولكي تصدق ما اقوله، اليك الاحصاءات التالية:

يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالي في «الموسوعة السياسية» ان «نسبة الاميين في الوطن العربي هي ٧٣ بالمئة من مجموع عدد السكان اي ما يمثل عام ١٩٧٠ : ٩١ مليون امي من أصل ١٢٥ مليون عربي» (٧).

وجاء في دراسة أعدتها اليونسكو وقدمتها لمؤتمر وزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية الذي انعقد في المغرب في كانون الثاني سنة ١٩٧٠، ما يلي: «قدرت نسبة الاميين حوالي عام ١٩٦٠ من بين الراشدين الشباب من السكان الذين هم في سن ١٥ – ٢٤ سنة بما يقارب ٧٥ بالمئة» (٨).

فكيف يمكن أن تجمع اللغة العربية كل هؤلاء الناس الذين يجهلونها؟

وبالرغم من ذلك ، فهناك «شعور بوحدة اللغة» في ما بينهم . فما هو مصدره؟ وما الذي يبرره؟ أولا ، الاسلام . ثانيا ، المفردات العربية التي تتخلل اللغات المحكية . ثالثا ، كون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولغة الصحافة ولغة المدرسة الاولى .

٤ – ان الاكثرية الساحقة من الذين كتبوا عن العروبة موضوعيا ، لم يتمكنوا من نكران الارتباط العضوي بين العروبة والاسلام .

يقول الدكتور محمد حسين :

«الاسلام حقيقة كبرى من حقائق العروبة ، وعنصر اصيل من مقومات مجتمعها وادابها . نزل كتابه بلغتها وحفظ تراثه كله فيها . ان الاسلام من ناحية اخرى هو الذي وحد العرب ورفع ذكرهم ودفعهم الى طريق المجد وحمل لغتهم الى الآفاق . وهو الذي جمع الناطقين بها على قيمه ومثله في اخوة زالت معها فوارق الجنس واللون : فالاسلام هو الذي حدد الشخصية العربية على مر العصور ، وربط آخرها بأولها ، لغة وحضارة وخلقا . وليس للعروبة تاريخ يعتز بها العرب ويجتمعون حوله قبل الاسلام . نعم ، الاسلام ، حقيقة كبرى من حقائق العروبة وعنصر اصيل من مقوماتها» (٩) .

ويقول الدكتور اسماعيل مظهر في مجلة «المقتطف» في نيسان ١٩٤٥ : «فاذا قال احدنا الجامعة الاسلامية فانما يعني جامعة عربية روحها الاسلام، واذا قال أحدنا الجامعة العربية، فانما يعني جامعة اسلامية روحها العروبة. وكل قول ينابذ هذا القول خطأ. وكل نزعة تخالف هذه النزعة شعوبية خسيسة».

وكمثال بارز واضح، مغزى عميق، اسمي لك ميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث العربي (الاشتراكي، في ما بعد).

لقد اضطر شخص مسيحي مثل ميشيل عفلق الى الاقرار نفسه، حتى يكون مخلصا مع الحقيقة.

يقول عفلق :

«ان العرب ينفردون دون سائر الامم بهذه الخاصة. ان يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية، أو بالاحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة... وما دام الارتباط وثيقا بين العروبة والاسلام وما دمنا نرى في العروبة جسما روحه الاسلام، فلا مجال اذن للخوف من ان يشتّط العرب في قوميتهم» (١٠).

ويقول ايضا :

«ان اوروبا اليوم، كما كانت في الماضي، تخاف على نفسها من الاسلام. ولكنها تعلم الآن ان قوة الاسلام (التي كانت في

الماضي معبرة عن قوة العرب) قد بعثت وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية » (١١) .

ويقول ايضا :

« فالفكرة القومية المجردة في الغرب منطقية اذ تقرر انفصال القومية عن الدين ، لان الدين دخل على اوروبا من الخارج فهو اجنبي عن طبيعتها وتاريخها ... في حين ان الاسلام بالنسبة الى العرب ليس عقيدة اخروية فحسب ، ولا هو اخلاق مجردة ، بل هو اجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم الى الحياة ، واقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم التي يندمج فيها اللفظ بالشعور والفكر ، والتأمل بالعمل ، والنفس بالقدر ... فعلاقة الاسلام بالعروبة ليست اذا كعلاقة اي دين بأية قومية » (١٢) .

وهذا ما يجعلنا نفهم لماذا اضطر بعثيو العراق وسوريا والرئيس عبد الناصر الى الاعلان عن ان (الاسلام دين الدولة) الاتحادية المعلنة في بيان الوحدة الثلاثية الشهير. وعندما استلم البعث الحكم في العراق ، الغى قانون مساواة المرأة بالرجل الذي اصدره الفريق عبد الكريم قاسم . والرئيس حافظ الاسد نفسه طلب الى مجلس الشعب السوري في شباط ١٩٧٣ تضمين الدستور الجديد نصا صريحا يعلن الاسلام دينا لرئيس الدولة ، مع ان مشروع الدستور كان ينص على ان « الفقه الاسلامي مصدر رئيسي للتشريع » .

أما الذين لم يربطوا العروبة بالاسلام فثلاثة :

أ – المسيحيون . ومن بينهم نجيب العازوري وقد كان في خدمة اهداف سياسية غربية معينة) الذين رأوا في ما بعد انهم يسيرون في خط مخالف للحقيقة .

ب – الشيوعيون والماركسيون الذين يمتطون أي جواد يوصلهم الى هدفهم . والعروبة ، بين ايديهم ، ستتحطم اشلاء .

ج – المسلمون الذين ليست لهم مسؤولية حزبية أو عقائدية او رسمية . وليست لهم بالتالي صفة تمثيلية . وهم متأثرون بالمفاهيم القومية الاوروبية ، من جهة ، ومن جهة اخرى ليس عند أكثرهم من الاسلام اكثر من الانتماء السوسيولوجي . أما من حيث الايمان الحقيقي والممارسة فهم الى البرودة واللامبالاة الدينية اقرب . فضلا عن أنهم ، حتى اليوم ، لم تكن لهم أية فاعلية عملية .

أما القول الساذج ، في معرض التفريق بين الاسلام والعروبة ، بان العرب موجودون قبل الاسلام ، وبأن هناك عربا غير مسلمين ، فقول لا يحل المشكلة :

أ – ان الحقيقة التاريخية القائلة بوجود عنصر عربي في شبه الجزيرة العربية قبل الدعوة الاسلامية ، لا علاقة له بالدعوة « العروبية » . العروبيون لم يجرؤوا – على حد علمي – على تقديم

« العروبة » وكأنها معبرة عن وجود سلالي او عرقي .

ب - والقول بوجود عرب ، اليوم ، غير مسلمين ، خارج نطاق شبه الجزيرة العربية ، هو المشكلة المطروحة بالذات والتي في حاجة الى من يبرهن عليها . فالامر موضوع الخلاف لا يمكنه أن يكون حجة ينهي الخلاف .

٥ - والداعون الى العروبة يدعون في الوقت نفسه وبذات الفعل ، الى الوحدة العربية السياسية الكيانية .

تقول « الموسوعة السياسية » عن « العروبة » بانها « فكرة قومية وشعور جامع بانتساب الشخص العربي الى الامة العربية ذات المزايا والخصائص المشتركة على امتداد ارجاء الوطن العربي من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ... تتبلور (العروبة) في حركة شعبية يحدوها التطلع الى ازالة حواجز التجزئة والتغلب على النزعات الاقليمية الضيقة من أجل تحقيق الوحدة العربية الشاملة وابراز الشخصية المعنوية في هذا المجال » .

وهذه الدعوة منطقية مع نفسها . فاذا لم تكتمل العروبة بالقومية العربية فبالوحدة العربية ، ناقضت نفسها بنفسها وادخلت في ذاتها بذرة اضمحلالها .

والوحدة العربية كانت ولما تزل اسلامية الجوهر والمرتجى ،

بحكم طبيعة العروبة ، أساسا ، وبشهادة الداعين الى الوحدة العربية .

وعندك انت ، ولا شك ، غير شهادة في هذا المجال . لذا اكتفي ، بالاضافة الى ما ذكرته آنفا على لسان ميشيل عفلق ، بشهادة مرب كبير في لبنان ، له شأن فعال في توجيه السياسة التربوية ، وقد تخرجت على يديه اجيال من الشباب المسلم . أنه الدكتور عمر فروخ .

يقول الدكتور فروخ :

«الاسلام هو في الواقع ديانة القومية العربية ، وانا اؤمن شخصيا بان هذين المفهومين ، اي الاسلام والقومية العربية ، هما واحد . في السياسة يقولون ان الاسلام يمثل شطرا كبيرا من العروبة ، وليس هذا سوى تساهل من قبل الساسة . في الواقع لا فرق بين الاثنين ويجب ان يكون الامر كذلك . ولا بد للوحدة من أن تأتي يوما ونحن دائما مع الذين يتجهون في هذا الاتجاه» (١٣) .

الخلاصة :

لا عروبة لولا الاسلام .

ولا استمرار للعروبة لولا الاسلام .

ولا مجال للدعوة القومية العربية والوحدة العربية لولا العروبة.

فهل يبقى قولك صحيحا، يا سيدي، : «ان المسلمين... يفرقون جيدا بين العروبة والاسلام»؟

ثانيا – هوية لبنان وعروبته

المجتمع اللبناني السياسي مجتمع تعاقدي.

والتعاقد قام بين جماعتين على نفيين (كما قال المرحوم الاستاذ جورج نقاش). لا: للحماية الاجنبية. ولا: للوحدة العربية (المتمثلة يومذاك بالوحدة السورية، بنوع خاص).

والجماعتان المتعاقدتان مختلفتان في كل شيء (وفي داخل كل منهما اختلافات ايضا، ولكنها ثانوية بالنسبة لكل مجموعة). مختلفتان من حيث التكوين النفسي والحضاري، من حيث اسلوب الحياة، من حيث النظرة الى قيم المجتمع السياسي ودوره واهدافه، ومن حيث التطلعات الوطنية والاهداف السياسية.

ومن هنا احد الاسباب الذي ابقى الجماعتين مشدودتين الى الامل او الخوف الذي كان يعتلج في القلب.

أمل الوحدة العربية بالنسبة للجماعة الاسلامية (في اكثريتها الساحقة)، والخوف من فقدان المجتمع المستقل الذي تعيش فيه حرياتها كاملة بالنسبة للجماعة المسيحية (في اكثريتها الساحقة).

من هنا ، ايضا ، الايمان بالعروبة ، ايمانا عفويا وطبيعيا ، بالنسبة للجماعة الاسلامية ، ورفض للعروبة (تتفاوت حدته بحسب الظروف السياسية وبحسب فهم المسيحيين لحقيقة العروبة) بالنسبة للجماعة المسيحية .

هذا هو واقعنا المجتمعي والاجتماعي على حقيقته .

وعندما قام «الميثاق الوطني» بفضل الساعين الى الاستقلال ، ومنهم ، من الطرف المسيحي الشيخ بشاره الخوري وبيار الجميل ، جاء ذكر عروبة لبنان باسلوب فيه الكثير من الاستحياء . وهو يريد ان يجمع النقيضين . فلا ينفر المسيحيين ولا يخيب أمل المسلمين فحمل في ذاته بذرة فساده . فقال بيان الحكومة الاستقلالية الاولى بان لبنان «وطن ذو وجه عربي يستسيغ الخير النافع من حضارة الغرب» .

ومنذ ذلك التاريخ ، والجدل لما يزل قائما .

المسيحيون اعتبروا عبارة «ذو وجه عربي» شيئا من التنازل من قبلهم ، والمسلمون لم تروي لهم عطشا . لذا عادوا الى الجهر بالعروبة والى العمل لها فور جلاء الفرنسيين عن ارضنا .

أجل . وبرهانا على ذلك ثلاثة . الاول ، ان المسلمين في لبنان اعتنقوا فورا وبشكل جماهيري كاسح ، فكرة القومية العربية عندما

نادى بها عبد الناصر. والثاني، هو هذا الانتساب للاحزاب العاملة من أجل الوحدة العربية على نحو ظاهر وصريح. والثالث، موقف المسلمين اليوم من السيادة اللبنانية ومن الحرب القائمة اساسا بيننا وبين الفلسطينيين.

فكيف تريد، ايها الاستاذ الكريم، الا يبقى الجدل قائما حول عروبة لبنان؟

أما اذا كنت تقول بان انتماء لبنان الى العروبة امر مفروغ منه لان لبنان:

أ – قبل بان يكون «ذا وجه عربي».

ب – اسس جامعة الدول العربية. وهو عضو أصيل فيها.

ج – وافق على مشروع الدفاع المشترك وجميع الاتفاقات التي توثق علائقه بالبلدان العربية.

فانا أجيبك بأن هذا الانتماء هو سياسي فقط. ولا يدل البتة على الهوية الذاتية للشعب. ولولا مسلمو لبنان لما كان هذا الانتماء. فوجودهم ثبت اللغة العربية لغة رسمية واولى. وايمانهم العروبي جعلهم يشكلون امتدادا بشريا وجغرافيا للعالم الاسلامي العروبي.

ولو كانت هوية لبنان الذاتية عربية لما كان من ضرورة لان يقول «الميثاق الوطني» لا «للوحدة العربية»، ولما كان من مبرر

لكي يبقى لبنان بعيدا عن العمل للوحدة العربية السياسية الكيانية.

ان اللبنانيين ينتمون، من حيث الهوية الذاتية، الى اثنيات متعددة (بالمعنى العلمي الحديث لهذه اللفظة). قد يكون بعضها حتى من اصل عربي.

اذا، المجتمع اللبناني مركب، كثاري، تعددي: اثنيا ونظرة وطنية. أما التباين الظاهر، ذو التأثير العنيف المباشر في مجرى الحياة اللبنانية، فواضح في عدم التجانس في الاتجاه الوطني الاساسي. ولا يمكن دولة ان تستمر اذا كان شعبها غير متجانس، على الاقل، في الاتجاه الوطني الاساسي. وفي رأينا ان التجانس المطلوب في أي مجتمع (على نحو عام) يعود الى ثلاثة امور اساسية: وحدة النظر الى الوجود الوطني، شعور المواطنين بالاطمئنان الى حرية ضميرهم وبعدم الخوف او الغبن، احترام خصائص بعضهم بعضا اذا كان لبعضهم خصائص معينة (لغوية، جنسية، اتنية...). وبقدر ما تحقق هذه الامور معا، بقدر ما يقوى التجانس ويتكثف ويتعمق. وبقدر ما لا تتحقق، بقدر ما يذهب المجتمع أكثر فاكثر نحو التباعد في ما بين ابنائه.

فهل يقبل جميعنا بهذه الحقيقة الكيانية التي تعبر عن واقع وجودنا؟

اذا كان الجواب سلبا، واصرارا على النظر الى اللبنانيين وكأنهم متجانسون اصلا وتركيبا وتكوينا نفسيا وحضارة واهدافا،

واذا كان الجواب لا يريد ان يأخذ بعين الاعتبار الوجود غير الاسلامي المميز في لبنان واعتباره بالنسبة «للوطن العربي الكبير» اقلية عددية يكاد يكون لها حساب،

فاننا سنبقى نتخبط في مشاكلنا، وننتقل من ازمة الى ازمة.

اما اذا قبلنا بالاعتراف بحقيقتنا الكيانية القائلة باننا مجموعتان غير متجانستين، فعند ذلك نكون قد خطونا الخطوة الاولى من رحلة الالف ميل.

ثالثا - اقتراح حل

ينطلق الاقتراح من القبول بالبديهيات التالية:

١ - اللبنانيون شعب غير متجانس.

٢ - اسلام المسلم لا يكتمل الا بالنظام الاسلامي.

٣ - «العروبة جسم روحه الاسلام».

واعتماد هذه البديهيات يعني تحولا جذريا في اسلوب تفكيرنا وفي محتوى هذا التفكير. والتحول الجذري ليس بالامر السهل. يستلزمه تغلب على الكبرياء والتخلي عن كل ما يظهر أنه خطأ.

ومن الافضل، خلقيا واخلاصا مع الذات، ان يتم هذا التحول من ان يستمر التشبث بالخطأ.

فمثلا، أن الاصرار على عروبة «كل» لبنان، أو لاصـــرار على « نكران » عروبة «كل» لبنان، شبيه بالجدل حول جنس الملائكة. سيتهدم البيت فوق رؤوس الجميع، ولن نصل الى أية نتيجة ايجابية.

فمنطلقات المسلمين بشأن العروبة عميقة الجذور في ضمائرهم وفي كيانهم، كما رأينا، فلا مجال لسلخهم عنها. وموقف غير المسلمين من العروبة مرتبط جوهريا بحرية الضمير ضدهم وبالحياة احرارا ومستقلين في مجتمع غير تيوقراطي، فلا مجال لزحزحتهم عنه.

واعتماد البديهيات أعلاه يوصل تلقائيا الى الاقرار:

١ – بحق المسلمين في أن يعيشوا وفاقا لنظامهم الاسلامي.

٢ – بحقهم في الايمان بالعروبة وبكل مستلزماتها.

والاقرار:

١ – بحق غير المسلمين في الحياة في نظام علماني تام شامل.

٢ – بحقهم في الحياة في مجتمع لا يخشون ان يكونوا فيه أهل ذمة أو مواطنين من درجة ثانية.

٣ – بحقهم في الحياة في مجتمع يمارسون فيه حرية الضمير بكل ابعادها.

كل ذلك يصلح لان يقودنا نحو الحل المنشود.

أما كيف يتجسد هذا الحل، وأي شكل يتخذ، فذلك عائد الى ما يتفق بشأنه.

واذا كان لي ان أدلو برأيي هنا فانا أرى حلاً من اثنين:

١ – اما ان يعيش غير المسلمين في دولة خاصة بهم، مستقلة تماما، ويعيش المسلمون في دولة خاصة بهم ايضا (أو يلتحقوا بدولة أخرى)، وهذا حل مثالي (بالمعنى الخلقي للفظة).

٢ – واما – اذا ارتؤي الابقاء على الجمهورية اللبنانية القائمة بحدودها الحاضرة – ان يوضع ميثاق وطني جديد ينظم الدولة اللبنانية على نحو يجعل كلا من الجماعتين تسير وفاقاً للخطّ الذي ترى فيه اكتمالاً لشخصيتها، تربويا وثقافيا واجتماعيا... وذلك على أساس الكونفدرالية.

في الحل الاول، يتجنس بجنسية الدولة كل من يؤمن بالعلمانية التامة الشاملة من اللبنانيين الحاليين، والى اية طائفة انتمى. فالانسان المسيحي او المسلم او الدرزي حر في ان يتنازل عن مسيحيته او اسلامه أو درزيته. وهذه الدولة تكون أيضا حيادية

وعلى اطيب الصلات بالعالم الاسلامي العربي.

والحل الثاني يفترض، في جملة ما يفترضه، اعلان الحياد اللبناني وتدويله. بهذا الحياد ينتهي صراع الدولتين العظميين. كذلك ينسحب لبنان من جميع اللجان السياسية لجامعة الدول العربية ولهيئة الامم المتحدة.

حضرة الاستاذ،

ان العالم الاسلامي العربي في حاجة، ايضا، لان يتخلص من «عقدة لبنان». هذه العقدة التي منعته، مثلا، من تسمية جامعته بـ «جامعة الدول الاسلامية العربية».

واذا تحرر العالم الاسلامي العربي من هذه العقدة، وتحرر مسلمو لبنان من الشعور بالغبن وقدروا على تحقيق نظامهم الاسلامي، فعند ذلك، وعند ذلك فقط، تجد «المسألة اللبنانية» حلها الدائم النهائي.

لقد قلت لك ما قلت بدافع الصدق مع الذات والاخلاص للحقيقة. وآمل أن يكون كلامي القدر اللازم من المساهمة في خروج لبنان من محنته.

ودمت:

امين ناجي

المصادر والمراجع

١ – مجلة «الهلال» – عدد خاص – انقرة – ايار ١٩٧٤ ، ص ٣١

٢ – صبحي الصالح ، النظم الاسلامية – ص ٢٥٥

٣ – البقرة ١٢٩

٤ – البقرة ١٥١

٥ – جريدة «الاهرام» – ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٤

٦ – ساطع الحصري – العروبة بين دعاتها ومعارضيها ط ١ بيروت – ١٠٥٢ – ص ١٣٢

٧ – عبد الوهاب الكيالي – الموسوعة السياسية – ص ٦٢٦

٨ – مكتب الاحصاء في اليونسكو في باريس – المطبعة الكاثوليكية – بيروت – ص ١٠

٩ – الدكتور محمد حسين – الادب العربي في ظل القومية العربية

١٠ – ميشيل عفلق – في سبيل البعث – ص ٥٥ – ط ٢

١١ – المصدر نفسه – ص ٥٧

١٢ – المصدر نفسه – ص ٥٨

١٣ – ورد هذا النص في اطروحة الدكتوراه للالماني السيد تيودور هنق – ١٩٧٠



سلسلة : القضية اللبنانية :

ظهر منها حتى الآن الاعداد التالية :

١ – لبنان الكبير مأساة نصف قرن ، ١٩٧٥

٢ – لبنان في نظامه السياسي ، ١٩٧٥

٣ – بين علمنة الدولة والغاء الطائفية السياسية طبعة ثانية ١٩٧٦

٤ – دراسة موجزة حول بعض امتيازات الطوائف الاسلامية في لبنان ، ١٩٧٥

٥ – الرسائل اللبنانية الجزء الاول ، ١٩٧٥
الرسائل اللبنانية الجزء الثاني ١٩٧٦

٦ – المحنة اللبنانية في اهم ابعادها ، ١٩٧٥

٧ – اعرف حقيقة لبنان السياسي ، ١٩٧٦

٨ – موجز عن المشكلة الفلسطينية في لبنان ، ١٩٧٦

٩ – الأزمات المرتقبة في لبنان ، ١٩٧٦

١٠ – من اقوالهم تستنتجون ، ١٩٧٦

١١ – نص الوثيقة الدستورية ، ١٩٧٦

١٢ – لبنان المستقبل ، من الانصهار السياسي الى الانشطار النفسي والجغرافي ، ١٩٧٦



الثمن ليرة لبنانية